

الجهود المبكرة لأساتذة جنديسابور في نقل الفلسفة اليونانية إلى الحضارة الإسلامية

دكتور

نادر محمد إسماعيل

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
قسم الإنسانيات والعلوم الاجتماعية – كلية المجتمع في قطر .

تمهيد

بدأت علاقة جُنْدَيْسَابُور بالدراسات الفلسفية منذ عهد الملك كسرى أنوشيروان (٥٣١ / ٥٧٨ م) والذي كان شديد الإعجاب بالثقافة اليونانية ، لذا فقد قام بإدخال العلوم اليونانية إلى مملكته حيث رحب بالأساتذة الذين شئتوا عندما أغلق الامبراطور جُستنيان مدارس أثينا ، وقد استفاد الملك كسرى من هؤلاء الأساتذة وغيرهم من علماء اليونان وقام بإنشاء مدرسة جُنْدَيْسَابُور .

ولمّا كانت تلك المدرسة معنية في المقام الأول بالتعليم الطبي ، إضافة إلى أن معظم المصادر التي أرّخت لها قد أفاضت بصفة خاصة في هذا الجانب ، ولم تُعنى بالتأريخ للدراسات الفلسفية قدر عنايتها بالدراسات الطبية ، فقد كان من الطبيعي أن تنصب معظم الدراسات والبحوث على الجانب الطبي لغموض البحث إلى حد كبير في الشق الفلسفي ودور المدرسة فيه .

ومن هنا فإن هذا البحث يحاول أن يُجلي جزءاً من غموض هذا الجانب غير الواضح في تاريخ تلك المدرسة وأساتذتها ، والذين تُقدّر جهودهم غالباً في المجال الطبي دون سواه . وإذا كانت تلك الجهود في النقل والترجمة عن اليونانية قد اقتصرت في مرحلتها الأولى على النقل من اليونانية إلى السريانية - وهي حلقة مهمة من حلقات النقول الفلسفية اليونانية إلى العربية - فإن أساتذة جُنْدَيْسَابُور قد انتقلوا خطوة إلى الإمام عندما وصلوا بغداد في بداية العصر العباسي الأول ، حيث بدأت عملية النقل من اليونانية إلى العربية تسير جنباً إلى جنب مع عملية النقل إلى السريانية ، وإن كان التركيز منصباً بصفة خاصة حتى النصف الأول من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) على السريانية ، وفي النصف الثاني من القرن نفسه ازدادت حركة الترجمة شيئاً فشيئاً إلى العربية مع إصلاح الترجمات القديمة .

مدينة جُنْدَيْسَابُور .. نشأتها وبذرة العلم اليوناني

ترتبط مدينة جُنْدَيْسَابُور تاريخياً بالملك الساساني سابور بن أردشير (٢٤١م - ٢٧٢م) ، حيث ينسب إليه تأسيسها وتعميرها بمساعدة الأسرى الرومان ، والذين أحضرهم إليها بعد هزيمته لقيصر الروم فاليرين سنة ٢٦٠م^(١) ، وكما تنقل المصادر فإن بناء هذه المدينة جاء بعد زواج الملك سابور من ابنة قيصر الروم المهزوم ، وقد ابتناها سابور لزوجته الجديدة على صورة مدينة القسطنطينية ، ولما انتقلت إليها جاء معها من كل صنف من أهل بلدها ممن هي محتاجة إليه ، فانتقل معها أطباء أفاضل أقاموا بها وبدأوا يعلمون أهلها صنوف العلم المختلفة^(٢) ، ومن هنا جاءت بذرة العلم الذي تباغت به جُنْدَيْسَابُور على حواضر عالم وقتها .

وقد عُرفت المدينة عند الجغرافيين المسلمين الأوائل باسم جُنْدَيْسَابُور^(٣) أو جُنْدِي سَابُور^(٤) ، وبما أن المدينة الآن تقع في بيئة فارسية^(٥) فقد أصبحت تكتب في الأدبيات الإيرانية بأشكال مختلفة مثل : جُنْدَيْسَابُور^(٦) ، أو گندي شاه بور^(٧) ، أو گنديشاپور^(٨) وهو إجراء ناجم عن انتعاش الشعور الفارسي .

ومنذ الفتح الإسلامي للمدينة (١٧هـ / ٦٣٨ م) ظهرت أهميتها جلياً كأحد المدن المهمة في اقتصاد الدول الإسلامية المتعاقبة ، حيث تميزت بكثرة خيراتها ووفرة مياهها ، كما تخصصت في زراعة قصب السكر والأرز وغيرهما من الزراعات^(٩) .

-
- (١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك : ج ١ ، ص ٢٣٢ ، المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر : ج ١ ، ص ٢٣٠ .
 - (٢) القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء : ص ٩٣ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٢٩ .
 - (٣) ابن رسته : الأعلام النفيسة : ص ١٨٨ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٨١ .
 - (٤) الإصطخري : مسالك الممالك : ص ٩٣ ، ابن حوقل : صورة الأرض : ص ٢٢٧ .
 - (٥) تجدر الإشارة إلى أن المدينة تقع الآن ضمن منطقة الأحواز ، والتي كانت تسمى منذ ثمانينيات القرن العشرين باسم عربستان بسبب كثرة تدفق العناصر العربية إليها ، وقد احتلتها إيران سنة ١٩٢٥م أثناء فترة حكم رضا شاه بهلوي ، حيث تم إعادة التسمية الفارسية القديمة لها وهي خوزستان ، كما تم إبدال الأسماء العربية لبعض المدن الأخرى بأسماء فارسية ، وذلك في ظل سياسة التفريس التي تتبعها إيران في تلك المنطقة . (للمزيد انظر : طلفاح ، الأحواز عربية ، القسم الثاني ، ص ٧ ، ص ١٩٤ ،) .
 - (٦) صفا : تاريخ أدبيات در إيران : جلد أول ، ص ١١٧ .
 - (٧) آبادي : تاريخ طب در إيران بس از إسلام (از ظهور إسلام تادوران مغول) ، ص ٩٥ .
 - (٨) اقتداري : ديار شهر ياران آثار و بناهاي تاريخي خوزستان ، جلد نخستين ، ص ٨٣٤ .
 - (٩) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : ص ٤٠٨ .

أما الآن فلا يوجد شيء من جُنْدَيْسَابُور إلا أطلال وخرائب تسمى شاه آباد ، تشهد على موقع المدينة القديم (١٠) .

مدرسة جُنْدَيْسَابُور .. تأسيسها وتنظيمها

في إيران تلقت الفلسفة دفعة قوية إلى الأمام علي عهد الملك كسرى أنوشروان (٥٣١ - ٥٧٨ م) ، فقد كان شديد الإعجاب بالثقافة اليونانية ، لذا فقد قام بإدخال العلوم اليونانية - على رأسها الفلسفة - إلى مملكته ، حيث رحب بالفلاسفة الذين شئتوا ونفوا من بلادهم عندما أغلق الامبراطور جُستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) مدارس أثينا ، وجعل من شروط الصلح بينه وبين جُستنيان أن يُعنى بهم (١١) .

وقد استفاد الملك كسرى أنوشروان من الروح الفلسفية التي بثها هؤلاء الفلاسفة وغيرهم من الفلاسفة الذين طردوا أو شئتوا من المراكز الفلسفية في الرُّها (١٢) وغيرها ، وقام بإنشاء مدرسة جُنْدَيْسَابُور الطبية ذات الروح الفلسفية ، تلك المدرسة التي أصبحت المركز الرئيس للطب وحلقة الوصل الأساسية بين الطب اليوناني والحضارة الإسلامية ، وإذا كانت مدرسة الاسكندرية الطبية المعنية بالدراسات الفلسفية قد لفظت أنفاسها الأخيرة بُعيد الفتح الإسلامي الذي قطع ما بينها وبين بيزنطة ، فقد واصلت مدرسة جُنْدَيْسَابُور حماية تراثها وترجمته وتنميته ثم نقله فيما بعد إلى بغداد .

ومع أن تلك المدرسة كانت في الأراضى الفارسية فلم تكن مركزاً للدراسات الفارسية بقدر ما كانت مركزاً للدراسات الآرامية (١٣) ، ورغم أن أغلب أساتذتها علماء نسطوريون (١٤) إلا أنها كانت في الوقت نفسه مكاناً مهماً لاجتماع الثقافات الفارسية والهندية واليونانية والآرامية (١٥) .

(١٠) ديار شهر ياران : جلد نخستين ، ص ٨٣٤ .

(١١) Robinson : The Story Of Medicine , p 139

(١٢) تجدر الإشارة إلى أن الرُّها هي " إديسا " عند الرومان ، واسمها الحالي " أورفا " ، وهي تقع في جنوب شرقي تركيا قريباً من الحدود السورية . (للمزيد انظر : ظاظا ، الساميون ولغاتهم ، ص ٩٩) .

(١٣) من الجدير بالذكر أن الآراميين لغوياً وحضارياً يمثلون الفرع الشرقي من اللغات السامية الشمالية ، أي الكتلة الواقعة غربي العراق ، وتعتبر حرّان إحدى عواصمهم الكبرى . (للمزيد انظر : ظاظا ، المرجع السابق ، ص ص ٩٩ - ١٠٠) .

(١٤) النسطورية منسوبة إلى " نسطورس " وهو راهب أنطاكي كان بطريركاً على القسطنطينية ، وقد أنكر إمكان إطلاق لقب والدة الإله على العذراء مريم ، ذاهباً إلى أنها لم تكن سوى أم لعيسى فتم طرده من الكنيسة وحرمانه (للمزيد انظر : ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ١ ، ص ١١١) .

(١٥) جب : دراسات في حضارة الإسلام ، ص ٢٩٧ .

أما عن تنظيم مدرسة جُنْدَيْسَابُور فيمكننا القول أنها كانت مؤسسة تعليمية ذات طابع خاص ، لها أنظمتها وتقاليدها التي حافظت عليها زمناً طويلاً ، فمن ناحية المنهج كان مماثلاً للمنهج الدراسي السكندري ، والذي كان بدوره يعتمد على مختصرات لكتب جالينوس^(١٦) اتخذت مادة للشرح في المحاضرات^(١٧) ، بالإضافة إلى الفلسفة وعلم المنطق والرياضيات^(١٨) .

ورغم أن المنهج السكندري بكل مكوناته كان هو المنهج المعتمد في جُنْدَيْسَابُور إلا أنها أيضاً قد عرفت المنهج الهندي منذ عهد الدولة الساسانية^(١٩) ، بواسطة الأطباء الذين تم إحضارهم ليدرسوا الطب فيها على الطريقة الهندية^(٢٠) ، ولكن الأمر الذي ميّز التعليم الطبي في جُنْدَيْسَابُور وجعله أكثر تخصصاً وكفاية من مدرسة الاسكندرية ، أنه لم يكن يُدرّس اعتماداً على تراجم كتب جالينوس نظرياً فحسب ، بل كان يُدرّس عملياً في بيمارستان^(٢١) كبير كان نموذجاً لما كانت عليه الدراسة من بعد في العالم الإسلامي ، حيث كان الطلبة يمارسون تدريبهم العملي بفحص المرضى ثم يسلمونهم إلى مساعدين أكثر خبرة ، قبل أن يؤكد الأستاذ صواب التشخيص والعلاج المناسب^(٢٢) .

ولمّا كانت لغة التدريس في المدرسة قد ارتبطت بالسريانية^(٢٣) أكثر من غيرها من اللغات الأخرى ، فقد أضحت الحاجة ماسة إلى وضع ترجمات سريانية لكتب أطباء وفلاسفة اليونان ، وهو الجهد الذي اضطلع به الأساتذة في تلك الفترة المبكرة ، وهي فترة مهمة لها خصائصها ومميزاتها ودوافعها التي سنعرض لها لاحقاً .

(١٦) جالينوس هو الفيلسوف الطبيعي اليوناني من أهل مدينة فرغاموس باليونان ، أشهر أطباء عصره ، عاش في القرن الثاني الميلادي وبينه وبين أبقرط ستمائة سنة . (للمزيد انظر : إخبار العلماء ، ص ص ٦٨ – ٨٧) .

(١٧) أوليري : الفكر العربي ومكانه في التاريخ ، ص ٤٢ .

(١٨) يوسف : الفلاسفة والمترجمون السريان ، ص ٩٠ .

(١٩) الدولة الساسانية أسسها الملك أردشير بن بابك ، واستمرت حوالي ٤٢٩ سنة ، وكان آخر ملوكها يزيدجرد بن شهريار ، والذي فُتحت إيران في عهده . (للمزيد انظر : الأصفهاني ، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، ص ١٨) .

(٢٠) محمدي : فرهنگ إيراني وتأثيران در تمدن إسلام و عرب ، ص ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .

(٢١) تجدر الإشارة إلى أن كلمة " بيمارستان " كلمة فارسية مكونة من مقطعين ، الأول " بيمار " بمعنى مريض أو عليل أو مصاب ، والثاني " ستان " بمعنى مكان أو دار ، فهي دار المرضى . (انظر : عيسى ، تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ص ٨٣) .

(٢٢) سورنيا : تاريخ الطب ، ص ٩١ .

(٢٣) السريانية هي إحدى اللهجات الآرامية ، والآرامية بدورها هي إحدى اللغات السامية ، والمرجح أن السريانية التي كانت سائدة في جُنْدَيْسَابُور هي السريانية الشرقية ، لأنها لغة النساطرة حيثما وجدوا . (للمزيد انظر : السرياني ، اللّمة الشهية في نحو اللغة السريانية ، ص ١١) .

وقد اتصل العرب بمدرسة جُنْدَيْسَابُور منذ قبل الإسلام ، حيث كانوا يستمدون كثيراً من أطبائهم من خريجي هذه المدرسة التي تعلموا وتمرنوا فيها ، ومن هؤلاء الأطباء يأتي الحارث بن كلدة الثقفي (٢٤) والذي رحل إلى جُنْدَيْسَابُور قبل الإسلام وتعلم في مدرستها ، ومارس مهنة الطب بفارس وعالج كثيراً من أهلها حتى شهدوا بعلمه ومهارته (٢٥) ، وبخلاف ذلك فإن المصادر الإسلامية لا تحدثنا عن أي أثر للمدرسة طوال عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية ، أما المصادر المسيحية فيُستنتج منها أن مدرسة جُنْدَيْسَابُور وغيرها من المدارس الأخرى التي كانت ملحقة بالأديرة كان لها اتصال بالتعليم الديني ، وأنها كانت منبعاً مهماً لتخريج رجال الدين المسيحي (٢٦) .

تفسير أسباب امتزاج التعليم الطبي بالفلسفي

إذا كان البحث عن حلقة الوصل المهمة بين الطب اليوناني والحضارة الإسلامية يجب أن يبدأ من جُنْدَيْسَابُور ، فلا عجب أن تكون نقطة البحث عن الحلقة الواصلة ما بين الفلسفة اليونانية والحضارة الإسلامية موجودة هي الأخرى في جُنْدَيْسَابُور ، حيث كان الامتزاج الكامل ما بين التعليم الطبي والفلسفي ، أو ما يُطلق عليه أحياناً الطب الفلسفي .

وعلى الرغم من أن بعض أطباء اليونان قد سجل اعتراضه على خلط البحث الفلسفي بالطب ، وآمن بضرورة الدفاع عن الطب القديم ، أي الطب العلمي في مقابل الطب الفلسفي (٢٧) ، إلا أن كبار أطباء اليونان قد أبدوا ذلك الاتجاه الذي يمزج التعليم الطبي بالفلسفي ، حتى أن جالينوس قد أخرج كتاباً في أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفاً (٢٨) .

وقد يكون من الأسباب التي أدت إلى تشجيع هذا الاتجاه أن اليونانيين حاولوا تفسير الكون والاستدلال على قوانينه بالتفكير المجرد والمنطق المقنن ، بل بالتوصل إلى أساليب المنطق لتكون أداة لهذا التفسير ، فنظروا إلى تأملات الفلاسفة وإلى ملاحظة الظواهر الطبيعية على أنها موضوع لدراسة

(٢٤) تجدر الإشارة إلى معظم من صنف في تراجم الصحابة جزم بأن الحارث بن كلدة الثقفي وإن كان عاصر النبي - ﷺ - ومات في أول الإسلام إلا أنه لا يصح له إسلام ، وإن كان بعض الباحثين المتأخرين قد صححوا إسلامه وعدوه من الصحابة خلافاً لما هو معروف . (للمزيد انظر : ابن عبد البر ، الإستيعاب ، ج ١ ، ص ٢٨٣ ، القفطي : إخبار العلماء ، ص ١١٢ ، وقارن : (Naser : Life Sciences , Alchemy and Medicine , Vol 4 , p 415) .

(٢٥) القفطي : المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٢٦) النسطوري : أخبار بطاركة كرسي المشرق ، ص ٦٣ ، ص ٦٨ .

(٢٧) سارتون : تاريخ العلم ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٩ .

(٢٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج ١ ، ص ٣٦٤ .

واحدة ، ولذلك نجد أثر الفلسفة في الطب واضحاً ليس في الجزء النظري البحت فحسب ، وإنما كذلك في جميع نواحيه وبخاصة فيما يتناول العلاج^(٢٩) .

وقد استمر هذا الامتزاج ما بين الطب والفلسفة زمن مدرسة الإسكندرية ، حيث كانت الفلسفة والطب يُدرسان فيها بصورة مدرسية واضحة^(٣٠) ، ولذلك لم يكن مستغرباً أن يُلحق الأطباء الإسكندرانيين بالفلاسفة لقوتهم فيها ، ومقدرتهم العلمية على جمع كتب جالينوس وتفسيرها بالإضافة إلى قيامهم بتفسير كتب المنطق الأساسية لأرسطو^(٣١) ، مثل قاطيغورياس^(٣٢) وأنالوطيقيا الأولى^(٣٣) وغيرهما من كتبه المنطقية^(٣٤) .

وبما أن مدرسة جُنْدَيْسَابُور قد انتهجت نهج مدرسة الإسكندرية في التعليم الطبي ، فقد انتقل إليها هذا الاتجاه الذي يمزج ما بين الطب والفلسفة ، ومن هنا برزت الحاجة ليس لترجمة كتب الطب اليونانية فحسب بل أيضاً لترجمة كتب كبار الفلاسفة ، لتكون في متناول أيدي الطلاب بالمدرسة ، وهي المهمة التي اضطلع بها الأساتذة لتبدأ بذلك المرحلة الأولى في نقل الفلسفة اليونانية إلى الحضارة الإسلامية ، ولكن مروراً بعقل ولغة السريان .

مراحل نُقول الفلسفة اليونانية

يمكننا ونحن نُورخ لجهود أساتذة جُنْدَيْسَابُور في نقل الفلسفة اليونانية أن نميز بين مرحلتين مهمتين من مراحل ذلك العمل المهم كان لكل منهما دوافعه وخصائصه ومميزاته ، فالمرحلة الأولى تبدأ منذ إنشاء المدرسة في عهد الملك كسرى أنوشروان وحتى بداية توافد الأساتذة على بغداد في عهد

(٢٩) مرسي : منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية ، ص ١٧٦ .

(٣٠) مايرهوف : من الإسكندرية إلى بغداد بحث في تاريخ التعليم الفلسفي والطبي عند العرب ، ص ٥١ .

(٣١) هو أرسططاليس بن نيقوماخس ، تلميذ أفلاطون وإليه انتهت فلسفة اليونانيين ، وله في جميع العلوم الفلسفية كتب جليلة . (للمزيد انظر : لايرتيوس ، مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة ، ص ص ١١٧ - ١١٨) .

(٣٢) قاطيغورياس هو إحدى كتب المنطق الأساسية لأرسطو ، ومعناه المقولات ، ممن نقله وشرحه حنين بن إسحاق ، وللكتاب شروح ومختصرات كثيرة . (انظر : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢٦) .

(٣٣) أنالوطيقيا الأولى هو الآخر إحدى كتب المنطق الأساسية لأرسطو ، وهو تحليل القياس ، نقله ثيادورس إلى العربية وأصلحه حنين ، ومن فسرّه يحيى النحوي والكندي . (المصدر نفسه ، ص ٢٧) .

(٣٤) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء : ج ١ ، ص ٣٧٤ ، ص ٣٧٧ .

الخليفة العباسي المنصور^(٣٥) ، في حين تبدأ المرحلة الثانية بوصول الأساتذة إلى بغداد وتستمر طوال القرنين التاليين إلا أنها لم تبلغ ذروتها إلا في الفترة الممتدة من الثالث الأول للقرن الثاني الهجري تقريباً – تاريخ وصولهم إلى بغداد – وحتى الثالث الأول من القرن الثالث الهجري ، وتفصيل ذلك على النحو التالي .

المرحلة الأولى : جهود الأساتذة في جُنْدَيْسَابُور

نحن معنيون في هذه المرحلة المبكرة من عملية الترجمة بالحديث عن نقطتين مهمتين ، الأولى تتمحور حول دوافع حركة الترجمة وأسبابها ، والثانية تناقش مسألة اللغة العلمية التي كانت تترجم إليها الأعمال اليونانية ، وهل كان الوسيط السرياني هو الوحيد الذي أسهم في نقل فلسفة اليونان إلى العرب أم إنها مرّت عبر وسيط بهلوي ؟

أما عن دوافع الترجمة في تلك المرحلة فلا ريب أنها نشأت عن حاجة عملية في مدرسة جُنْدَيْسَابُور ، حيث كان الامتزاج الكامل – كما ذكرنا – ما بين الطب والفلسفة ، أو بمعنى آخر إذا كان الأساتذة في المدرسة قد اعتمدوا الطب الفلسفي في المنهج التعليمي ، فكان عليهم أن ينتقوا من كتب الفلسفة اليونانية ما يرونه ملائماً لإكمال هذا المنهج ، وقد كانت فلسفة أرسطو بصفة خاصة هي التي استحوذت على النصيب الأكبر من العناية في مناهج المدرسة بتلك الفترة^(٣٦) .

ورغم أن مؤلفات فلاسفة اليونان قد نالت النصيب الأكبر من جهود المترجمين في تلك الفترة ، إلا أنها لم تكن الأعمال الوحيدة التي حظيت باهتمام الأساتذة وتطلعهم إلى ترجمتها ، لأن الفلسفة الهندية هي الأخرى قد وجدت لها موطئ قدم في جُنْدَيْسَابُور منذ وقت مبكر ، وإذا كان بعض العلماء الهنود قد تم جلبهم للتدريس في المدرسة^(٣٧) فمن المرجح أن الفلسفة الهندية هي الأخرى قد نالها نصيب من العناية في تلك الفترة المبكرة .

وإذا انتقلنا إلى النقطة الثانية والمتعلقة باللغة العلمية التي كانت تترجم إليها الأعمال اليونانية في تلك المرحلة ، فإننا نحتاج أولاً أن نفهم صورة الوضع اللغوي وتعقيداته في جُنْدَيْسَابُور ، لأن ذلك سيساعدنا

(٣٥) هو أبو جعفر عبدالله بن محمد بن علي ، تولى الخلافة سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م بعهد من أخيه أبي العباس السفاح ، ومات لست خلون من ذي الحجة سنة ١٥٨هـ / ٧٧٤م . (للمزيد انظر : ابن الساعي ، مختصر تاريخ الخلفاء ، ص ص

٢١ – ٢٣ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ص ٢٠٥ – ٢١٣) .

(٣٦) الفلاسفة والمترجمون السريان : ص ٩٠ .

(٣٧) من الإسكندرية إلى بغداد ، ص ٥٦ ، فرهنگ إيراني وتأثيران در تمدن إسلام و عرب ، ص ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .

في الوقوف على كثير من الحقائق المتعلقة بحركة الترجمة في تلك المرحلة .
والحقيقة نحن مدينون لابن المقفع^(٣٨) في جانب كبير من هذا الجزء ، لأن التقرير الذي قدمه عن
الوضع اللغوي في جُندَيْسَابُور وإيران بصفة عامة جعلنا ملمين بجانب مهم من جوانب تعقيدات هذا
الوضع اللغوي ، وفي ذلك يقول : " اللغات الفارسية هي : الفهلوية^(٣٩) والدرية^(٤٠) والخوزية^(٤١)
والسريانية " ^(٤٢) .

ويُفهم من كلام ابن المقفع أن الخوزية هي إحدى لغات العصر الساساني ، وإذا كان ذلك كذلك
فَيُستنتج من اسمها أنها كانت معروفة ومتداولة في جُندَيْسَابُور ، ولكن إذا أردنا الدقة في كلام ابن المقفع
فينبغي أن ننظر إلى الخوزية على أنها لكنة^(٤٣) أو لهجة^(٤٤) أو حتى لغة دارجة بين العامة في الشارع
وليست اللغة المستعملة في حلقات الدراسة بجُندَيْسَابُور^(٤٥) .

وتكتمل صورة هذا الوضع اللغوي بعد الفتح الإسلامي لجُندَيْسَابُور وانتشار اللغة العربية ، وهو أمر
كان حتمياً حيث وجد الفرس مس الحاجة إلى معرفة هذه اللغة ، لأنها لغة القرآن الكريم والحديث
الشريف وأحكام دينهم الجديد ، على أن الملحظ المهم هنا أن تعلم العربية لم يقتصر على مسلمي إيران
فقط ، بل تعلمها أيضاً الأطباء النساطرة بمدرسة جُندَيْسَابُور^(٤٦) ، وقد يكون السبب الذي حدا

(٣٨) هو عبدالله بن المقفع ، واسمه بالفارسية " روزبة " اختلف العلماء في أصله ، حيث ذهب بعضهم إلى أنه من
الأهواز " خوز " ، في حين ذهب البعض الآخر إلى أنه من " جور " وهي تعرف حالياً بفيروز آباد قرب شيراز .
للمزيد انظر : النديم ، الفهرست ، ج ١ ، ص ١١٨ ، الجهشيارى : الوزاء والكتاب ، ص ١٠٩) .

(٣٩) الفهلوية أو البهلوية هي لغة العهد الساساني الرسمية في إيران ، واستُخدمت في العصور الإسلامية للدلالة على
اللغة الفارسية القديمة الوحيدة ، والتي عُرفت بالفارسية الوسطى . (Lazard : The Rise of The new Persian
Language , in Cambridge History of Iran , vol 4 . P 598)

(٤٠) الدرية يقول عنها الخوارزمي إنها لغة أهل مدن المدائن ، وبها كان يتكلم من بباب الملك ، فهي منسوبة إلى
حاضرة الباب . (للمزيد انظر : مفاتيح العلوم ، ص ١١٧) .

(٤١) الخوزية منسوبة إلى خوزستان ، وخوزستان هي التسمية التي أطلقها الفرس على منطقة الأحواز حين سيطروا
عليها ودخلت في حوزتهم خلال العصر الهخمانشي . (للمزيد انظر : ابن خردادبه ، المسالك والممالك ، ص ٧٣ ، ديار
شهر ياران ، جلد نخستين ، ص ١٠١٣ ، ص ١١٤٩) .

(٤٢) الفهرست : ج ١ ، ص ١٣ .

(٤٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ج ٢ ، ص ٩٨ .

(٤٤) The Rise of The new Persian Language . P 598

(٤٥) علوم اليونان : ص ٩٥ .

(٤٦) تاريخ أدبيات در إيران : جلد أول ، ص ٩٢ .

بهؤلاء الأساتذة إلى تعلم اللغة العربية هو التغيير الذي طرأ على الوضع السياسي لجُنْدَيْسَابُور وإيران بصفة عامة ودخولها في حوزة العرب المسلمين ، وأياً ما كان الأمر فقد كانت العربية هي الأخرى معروفة لدى الأساتذة في جُنْدَيْسَابُور في تلك المرحلة .

وهكذا نستنتج أن اللغات التي كان يُلم بها أساتذة جُنْدَيْسَابُور في تلك المرحلة هي : البهلوية ، السريانية ، العربية ، وبالطبع اليونانية والتي كانت الترجمة تبدأ منها إلى غيرها من اللغات ، ولكن بما أن لغة التدريس التي كانت معتمدة في جُنْدَيْسَابُور كانت هي السريانية (٤٧) ، وبما أن المدرسة نفسها تقع في بيئة فارسية فقد انصبت الجهود في تلك الفترة على النقل من اليونانية إلى السريانية أو البهلوية (٤٨) ، وهكذا تفلسف الناس أيضاً باللغة البهلوية في جُنْدَيْسَابُور قبل الإسلام ، ولعل المصطلحات الفلسفية مثل " جوهر " لكلمة " أوسيا " اليونانية أن تكون قد وضعتها مدرسة جُنْدَيْسَابُور وغيرها من المدارس التي كانت تقع في محيط فارسي (٤٩) .

وإذا جاز لنا أن نلخص خصائص حركة الترجمة في تلك المرحلة المبكرة التي احتضنتها مدرسة جُنْدَيْسَابُور ، فيمكن أن نضع أيدينا على النقاط الآتية :-

أولاً : اقتصرت جهود أساتذة جُنْدَيْسَابُور في تلك المرحلة التاريخية على الترجمة من اليونانية إلى السريانية أو البهلوية ، ومن المؤكد أن شيئاً من كتب الفلاسفة اليونانيين لم يترجم إلى العربية عن الفارسية ، أو بمعنى أدق لم تمر فلسفة اليونان عبر وسيط بهلوي في طريقها إلى العربية .

ثانياً : لم يقد دليل حتى الآن على أن فلسفة اليونان والتي كانت محط اهتمام الأساتذة المترجمين في مدرسة جُنْدَيْسَابُور كانت تترجم إلى العربية مباشرة ، وذلك لانتفاء الحاجة إلى التراجم العربية في المدرسة في تلك المرحلة ، وإن كانت العربية نفسها – كما قلنا - معروفة في المدينة والمدرسة ولكن لاعتبارات سياسية وليست علمية .

ثالثاً : أن الأساتذة الذين اضطلعوا بمهمة تلك التراجم في المرحلة الأولى قد حفظوا لنا علم اليونان في صورتين متميزتين ، الأولى من خلال قيامهم بترجمة الأعمال اليونانية كاملة في صورة كتب منسوبة إلى أصحابها (٥٠) ، وفي هذه الحالة كانوا مجرد ناقلين أمناء ملتزمين حرفية النقل من الكتب التي ينقلون عنها، أما الصورة الثانية التي حفظ من خلالها هؤلاء الأساتذة أعمال اليونان فكانت خلال مصنفاتهم التي

(٤٧) Life Sciences , Alchemy and Medicine : Vol 4 , p 397

(٤٨) أمين : ضحى الإسلام ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

(٤٩) كروس : التراجم الأرسطالية المنسوبة إلى ابن المقفع ، ص ١١٩ .

(٥٠) تاريخ أدبيات در إيران : جلد أول ، ص ١١٠ .

كتبها باللغة السريانية ، وضمّنوا فيها تلك التراجم اليونانية بعدما هضموها رغبة منهم في تعريف الطلاب بتلك الأعمال العلمية المهمة .

المرحلة الثانية : جهود الأساتذة في بغداد

تفيد المصادر التاريخية بأن بداية اتصال أساتذة مدرسة جُنْدَيْسَابُور ببغداد كانت في عهد الخليفة العباسي المنصور ، ففي عام ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م أدرك المنصور مرض وفساد في معدته ، وكلما عالجه الأطباء ازداد مرضه ، فأشاروا عليه بجورجيس بن بُخْنَيْشُوع^(٥١) رئيس الأطباء في جُنْدَيْسَابُور ، فخرج جورجيس بعد تردد إلى بغداد واصطحب معه بعضاً من تلاميذه ، واستطاعوا تدبير المنصور فصلحت حاله ، وصلح معها حال جورجيس وتلاميذه عند المنصور^(٥٢) ، ومنذ ذلك الوقت تقريباً يبدأ الاتصال الحقيقي بين أساتذة جُنْدَيْسَابُور وبين بغداد ، وتبدأ المرحلة الثانية من جهودهم التي بذلوها في نقل الفلسفة اليونانية إلى العربية .

ونحن معنيون في هذه المرحلة بالحديث عن ملمحين مهمين ، أحدهما يتعلق بجهود أساتذة جُنْدَيْسَابُور في الإعداد والإشراف والتنظيم لعملية النقل عن اليونانية ، وثانيهما يتعلق بمشاركتهم العملية ونزولهم ميدان الترجمة بأنفسهم ، ومباشرتهم لعملية النقل من اليونانية ، سواء أكان ذلك إلى العربية أو إلى السريانية .

أما عن الملمح الأول من ملامح هذه الجهود والمتعلق بدور الأساتذة في الإشراف والتنظيم لعملية الترجمة ، فيمكننا القول إن فترة حكم الخليفة المنصور لم تشهد نشاطاً ملحوظاً لأساتذة جُنْدَيْسَابُور في مجال النقل الفلسفية ، فليس هناك من دليل على أن هؤلاء الأساتذة قد قاموا بشيء لإذاعة فلسفة اليونانيين بين العرب^(٥٣) ، وإنما يبدأ النشاط الفعلي والمهم لهم بدءاً من عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد^(٥٤) ، ففي عهده برز نجم جبريل بن بُخْنَيْشُوع (ت ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) ودوره في رعاية الترجمة من اليونانية ، ويرجع إليه الفضل في أن أرسل الرشيد إلى الامبراطورية الرومانية في طلب

(٥١) تجدر الإشارة إلى أن معنى بُخْنَيْشُوع هو عبد المسيح ؛ لأن البُخْت في السريانية تعني العبد ، ويوشع هو عيسى - عليه السلام . (عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ١٢) .

(٥٢) إخبار العلماء بأخبار الحكماء : ص ١٠٩ .

(٥٣) علوم اليونان : ص ٢١٨ .

(٥٤) هو الخليفة هارون بن المهدي ، بويع بالخلافة في الليلة التي مات فيها أخوه الهادي ، وذلك في ربيع سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م ، وجاءت وفاته بمدينة طوس سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م . (انظر : مختصر تاريخ الخلفاء ، ص ص ٢٧ - ٣٣) .

المخطوطات ، وأن كلف البعض بوضع الترجمات المختلفة لها ، ولم يقتصر دوره في تلك المرحلة على تهيئة الترجمات العربية فحسب بل شجع أيضاً إعداد ترجمات سريانية منقحة (٥٥) ، وظلت تلك المزوجة في الترجمة وأعني بها النقل إلى العربية والسريانية معاً في تلك الفترة المبكرة ، وإن كان التركيز منصباً بصفة خاصة - كما قلنا - حتى النصف الأول من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) على السريانية ، وفي النصف الثاني من القرن نفسه ازدادت حركة الترجمة شيئاً فشيئاً إلى العربية مع إصلاح التراجم القديمة (٥٦) .

ومن المؤكد أن هذا النشاط الملحوظ لأساتذة جُنْدَيْسَابُور في تلك الفترة نشأ عن حاجة عملية ، كتلك التي أعوزت الأساتذة هناك في جُنْدَيْسَابُور إلى ترجمة الكتب اليونانية لغرض الدراسة والتعليم ، إذ هنا أيضاً في بغداد تم تكليف أساتذة جُنْدَيْسَابُور في عهد الرشيد بإنشاء بيمارستان على غرار بيمارستان جُنْدَيْسَابُور (٥٧) ، وقد عهد الرشيد برئاسة هذا البيمارستان إلى جبريل بن بُخْنَيْشُوع ، والذي وضع فيه نظاماً وترتيباً بما هو قائم في جُنْدَيْسَابُور ، كما قام بدعوة أطباء وأساتذة وصيادلة جُنْدَيْسَابُور للعمل في أقسام هذا البيمارستان (٥٨) .

ولم يقتصر الأمر على التشجيع المعنوي فحسب ، بل إن جهود هؤلاء الأساتذة قد تعدت ذلك إلى قيامهم بالترحال لتحصيل الكتب اليونانية ونقلها من لغة اليونان ، وقد ترك لنا حُنين بن إِسْحَاق (٥٩) وصفاً رائعاً يبين لنا مدى الجهود التي بذلها هؤلاء الأساتذة في تحصيل كتاب البرهان لجالينوس ، وهو الكتاب الذي أراد أن ينحو فيه منحى أرسطاطاليس في كتابه الرابع من المنطق ، وفي ذلك يقول حُنين : " لجالينوس كتاب البرهان في خمس عشرة مقالة ، وغرضه فيه أن يبين كيف الطريق في تبين ما يتبين ضرورة ، وذلك كان غرض أرسطاطاليس في كتابه الرابع من المنطق ، ولم يقع إلى هذه الغاية إلى أحد من دهرنا لكتاب البرهان نسخة تامة ، على أن جبريل (٦٠) قد عُني بطلبه عناية شديدة وطلبته أنا أيضاً ، وجلت في طلبه بلاد الجزيرة والشام كلها وفلسطين ومصر ، فوجدت منه شيئاً بدمشق نحواً

(٥٥) علوم اليونان : ص ٢١٩ .

(٥٦) من الإسكندرية إلى بغداد : ص ٥٨ .

(٥٧) إخبار العلماء : ص ص ٢٥٠ - ٢٥١ ، عيون الأنباء : ج ٢ ، ص ١٢٠ .

(٥٨) تاريخ طب در إيران : ص ص ٩٤ - ٩٥ .

(٥٩) هو حُنين بن إِسْحَاق العبادي من نصارى الحيرة ، كان فاضلاً في صناعة الطب ، فصيحاً باللغة السريانية والعربية واليونانية ، دار البلاد في جمع الكتب القديمة ونقلها إلى العربية والسريانية ، وكانت أكثر نقوله لبني شاعر ، توفي سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م . (للمزيد انظر : إخبار العلماء ، ص ص ١١٧ - ١١٨) .

(٦٠) هو جبريل بن بُخْنَيْشُوع المذكور في متن الصفحة نفسها .

من نصفه إلا أنها مقالات غير متوالية ولا تامة ، وقد كان جبريل أيضاً وجد منه مقالات كلها ليست المقالات التي وجدت بأعيانها " (٦١) .

ولما كان حُنين بن إسحاق قد بدأ حياته العلمية طالباً في مدرسة جُنْدَيْسَابُور (٦٢) وكان نبوغه بعد ذلك وتمكنه من اليونانية والعربية والسريانية لافتاً للنظر ، فقد استخدمه الأساتذة ووظفوه جيداً وأشرفوا عليه في عملية نقل الفلسفة اليونانية ، سواء أكان ذلك إلى السريانية أو إلى العربية ، وقد جاءت العناية الأولى من جانب جبريل بن بُخْتَيْشُوع ، حيث احتضن حُنين وفتح له بيته وشجعه على الترجمة والنقل من اليونانية (٦٣) ، وبعد وفاة جبريل انتهج ابنه بُخْتَيْشُوع (٦٤) نفس النهج في العناية بحُنين وتشجيعه على الترجمة من اليونانية ، فترجم له كتباً عديدة من اليونانية إلى العربية والسريانية (٦٥) .

أما عن الملمح الثاني من ملامح جهود أساتذة جُنْدَيْسَابُور في نقل فلسفة اليونان والمتعلق بمشاركتهم العملية ونزولهم ميدان الترجمة بأنفسهم ومباشرتهم لعملية النقل المبكرة ، فيمكننا في هذا الصدد أن نميز بين صنفين من الأساتذة ، أحدهما لعب دوراً مزدوجاً في عملية النقل ، وذلك من خلال قيامه بالترجمة وأيضاً الإشراف على عمل الترجمة الآخرين في الوقت نفسه ، وثانيهما جند نفسه لعملية الترجمة فقط دون أن يتحمل غيرها من أعباء الإشراف والتنظيم على تلك العملية .

ويأتي على رأس قائمة الصنف الأول من الأساتذة يوحنا بن ماسويه (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧ م) ، وهو ابن لصيدلي من صيادلة مدرسة جُنْدَيْسَابُور يسمى ماسويه ، كان خبيراً في صنع الأدوية رغم أنه كان لا يقرأ حرفاً واحداً بلسان من الألسنة (٦٦) ، ونظراً للنجاة المبكرة التي أظهرها ابنه يوحنا فقد تم تقديمه على أبناء أشرف أهل صناعة الطب وعلمائهم ، كما تم تقليده رئاسة بيمارستان جُنْدَيْسَابُور (٦٧) ، حتى تم استدعاؤه إلى بغداد ليسهم مع زملائه من أساتذة جُنْدَيْسَابُور في نقل فلسفة اليونان إلى العربية ، ورغم أنه خدم عدداً لا بأس به من خلفاء بني العباس ، إلا أن جهوده في مجال النقل المبكرة من اليونانية قد

(٦١) عيون الأنبياء : ج ١ ، ص ٣٦٦ .

(٦٢) سارتون : تاريخ العلم ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .

(٦٣) إخبار العلماء : ص ١٢٠ .

(٦٤) هو بُخْتَيْشُوع بن جبريل بن بُخْتَيْشُوع أحد أشهر أطباء البلاط في عهد الخليفة الواثق والمتوكل ، بلغ من كثرة ماله ما لم يبلغه أحد من الأطباء الذين كانوا في عصره ، حتى حسده وزراء الخليفة فنفي إلى جُنْدَيْسَابُور ونكبه المتوكل أكثر من مرة ، توفي سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩ م . (للمزيد انظر : عيون الأنبياء ، ج ٢ ، ص ص ٣٦ - ٣٧) .

(٦٥) عيون الأنبياء : ج ١ ، ص ٣٦ .

(٦٦) إخبار العلماء : ص ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٦٧) المصدر نفسه : والصفحات نفسها

تركزت بصفة خاصة في عصرين متعاقبين .

ففي عصر الرشيد تم تقليده ترجمة الكتب القديمة التي وجدت بأنقرة وغيرها من بلاد الروم حين افتتحها المسلمون ، فترجم منها شيئاً كثيراً^(٦٨) ، وفي الحقيقة كانت المادة التي حصلوا عليها من تلك البلاد في أغلب أمرها طبية ، وقد يكون ذلك – كما قلنا – ناشئاً عن حاجة عملية لغرض العلاج والتعليم في البيمارستان الذي أمر الرشيد بإنشائه وعهد بإدارته لهؤلاء الأساتذة .

ورغم ذلك فقد كانت مؤلفات الفلاسفة اليونان وخاصة أرسطو معروفة لدى هؤلاء الأساتذة ولكن في صورتها السريانية ، وكانت هذه المؤلفات في مبدأ أمرها مقصورة على مقالات المنطق ، ولم يضطلع علماء العرب بدراسة فلسفة أرسطو دراسة جادة قائمة على دراسة النص إلا بعد وفاة هارون الرشيد^(٦٩) ، حيث نشهد تقدماً كبيراً للدراسات الفلسفية في عهد ابنه الخليفة المأمون^(٧٠) . ولم يكن حب المأمون وميله للعلم فقط هو السبب في حماسه على ترجمة مؤلفات فلاسفة اليونان إلى العربية ، بل إن هذا الاتجاه قد نشأ بالضرورة عن حاجة عملية ، مثل حاجة المدارس الطبية الكبرى إلى ترجمة كتب الأطباء القدماء^(٧١) .

ولما كان ذلك كذلك فقد استغل المأمون علاقته بملك الروم وكتب إليه يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم اليونانية في الطب والفلسفة وغيرهما إليه ، فأجابته ملك الروم إلى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون جماعة من العلماء كان منهم – على ما قيل – يوحنا بن ماسويه ، ثم أمرهم المأمون بالشرع في نقل تلك الكتب فنقلوها^(٧٢) . وقد استغل المأمون تلك المادة العلمية التي حصل عليها بالإضافة إلى وجود طائفة من أبرع المترجمين لديه وقام في عام ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م بإنشاء مدرسة للترجمة في بغداد سميت باسم بيت الحكمة ، ووضع على رأس هذا المدرسة يوحنا بن ماسويه وكان حنين بن إسحاق من أنشط المترجمين فيها ، وبعد حوالي ٢٥ سنة تقريباً تم تجديد هذه المدرسة وأصبح حنين هذه المرة رئيساً لها^(٧٣) .

(٦٨) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص ٤٩ ، تاريخ مختصر الدول : ص ٢٢٧ .

(٦٩) علوم اليونان : ص ٢٠٨ .

(٧٠) هو عبدالله المأمون بن هارون الرشيد ، تولى الخلافة سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م ، وهي السنة التي انتهت فيها الفتنة بينه وبين أخيه الأمين والتي انتهت بمقتل الأخير ، وظل المأمون على رأس الخلافة العباسية حتى وفاته سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م . للمزيد انظر (مختصر تاريخ الخلفاء : ص ٣٧ – ٥٧) .

(٧١) بكر : تراث الأوائل في الشرق والغرب ، ص ١١ .

(٧٢) الفهرست : ص ٣٣٩ ، عيون الأنبياء : ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(٧٣) من الإسكندرية إلى بغداد : ص ٥٨ .

ولم تقتصر جهود يوحنا على رئاسة مدرسة الترجمة في بغداد فحسب ، بل تعدتها إلى خوض غمار عملية الترجمة والنقل من اليونانية إلى العربية ، ورغم أنه صنف كتباً عديدة في مجال الطب^(٧٤) إلا أن ترجماته للأعمال اليونانية قد أضافت له شهرة فوق شهرته ، وكان جميع المترجمين وعلى رأسهم حنين ابن إسحاق نفسه يقدرونه حق قدره في هذا الميدان ، وينتظرون كلمته في تلك التراجم التي كانت تخرج من تحت أيديهم^(٧٥) .

أما عن منهجه في الترجمة فمن الواضح أن يوحنا بن ماسويه كان يقوم بنقل المصطلحات أو العبارات اليونانية نقلاً لفظياً ، ثم يحاول أن يلخص معناها العربي باختصار قدر ما تسعفه معرفته بالعربية ، وقد توصل الباحث إلى ذلك من خلال تحليل كتابه المعروف باسم دغل العين ، وهو الكتاب الذي يعد أول وأقدم رسالة عربية في مجال طب العيون^(٧٦) لأن الكتب اليونانية والسريانية وما صنف باللغات الأخرى في هذا الفن قد ضاعت^(٧٧) ، ومن ذلك قوله وهو يتحدث عن حجب العين : " ... فأما الحجاب الأول من حجب العين وهو الداخل يسمى الشبكي ، والذي سماه اليونانيون ماناناخيس ، وفوق هذا الحجاب الرطوبة التي تشبه الزجاج المذاب ، وهي التي سماها اليونانيون هولاندوس وتفسيرها الشبيه بالزجاج " ^(٧٨) .

ويتأكد ذلك المنهج في الترجمة من خلال تحليل كتاب آخر منسوب إليه يسمى معرفة محنة الكحالين^(٧٩) ، وهو عبارة عن رسالة مختصرة على هيئة السؤال والجواب ، وتركز تلك المادة التي يحتويها الكتاب على طبقات العين ووصفها والأوجاع التي تصيبها^(٨٠) ، وفي هذا الكتاب أيضاً يقوم يوحنا بنقل المصطلحات أو العبارات اليونانية نقلاً لفظياً بجانب المعنى العربي الذي وضعه لها^(٨١) .

(٧٤) تجدر الإشارة إلى أن تلك الكتب بلغت حوالي ٤٥ كتاباً ، من أهمها : " كتاب الفصد والحجامة ، كتاب الأغذية ، كتاب الرجحان في المعدة ، كتاب الجذام - لم يسبقه أحد إلى مثله - ، كتاب الأزمنة ، كتاب محنة الطبيب ، كتاب علاج النساء اللواتي لا يحبلن حتى يحبلن ، كتاب في الأشربة ، كتاب الجنين ، وغيرها من الكتب . (للمزيد انظر : إخبار العلماء ، ص ٢٤٩) .

(٧٥) المصدر نفسه : ص ١٢٠ .

(٧٦) The Story of Medicine , p 146

(٧٧) Life Science . p 415

(٧٨) دغل العين : ورقة ٣ ، ورقة ٧ .

(٧٩) تجدر الإشارة إلى أن البعض يشكك في نسة هذا الكتاب إلى يوحنا بن ماسويه على أساس أن المصطلحات الفنية فيه ذات طابع عصر متأخر . (علوم اليونان : ص ٢٢٤) .

(٨٠) معرفة محنة الكحالين : ورقة ٤ ، ورقة ١٠ .

(٨١) المصدر نفسه : ورقة ٥ ، ورقة ٧ ، ورقة ٩ .

وفي الواقع كانت هذه الطريقة في الترجمة هي لسان حال معظم الترجمات المبكرة للنصوص اليونانية ، حيث كان يتم نقل المصطلحات أو العبارات اليونانية نقلاً لفظياً ، ثم لجأوا بعد ذلك إلى تحليل أصل المفردة اليونانية التي ليس لها مفردة تعادلها في السريانية ، عندئذ كانت تترجم على شكل أجزاء (٨٢) .

ومن أساطين هذا الصنف أيضاً والذين توزعت جهودهم بين الإشراف والتنظيم لعملية الترجمة وبين المشاركة في الترجمة نفسها يأتي جبريل بن بُخَيْشُوع ، فبالإضافة إلى تشجيعه ورعايته للترجمة من اليونانية ، فقد لعب دوراً مهماً في تنقيح بعض الترجمات السقيمة لنصوص يونانية ، وإن اختلف جهابذة المترجمين في الحكم على درجة جودتها (٨٣) ، كما عمل على تطوير التراجم الفلسفية بمساعدة كاتب آخر هو عبد يشوع بن بهريز ، والذي كتب للمأمون خلاصة لكتب أرسطو المنطقية (٨٤) .

ويلحق بأساتذة هذا الصنف أيضاً شيرشوع بن قطرب ، فقد كان يبرر النقلة ويهدي إليهم ويتقرب إلى تحصيل الكتب منهم بما يمكنه من المال ، ورغم أنه معدود من النقلة الذين ترجموا علوم اليونان من فلسفة وطب إلى اللسان العربي ، إلا أن نشاطه قد شمل أيضاً النقل إلى اللسان السرياني ، وربما تفوق نشاطه في هذا الجانب على النقل إلى اللسان العربي (٨٥) .

أما أساتذة الصنف الثاني والذين تركزت جهودهم بصفة خاصة على الترجمة فيأتي على رأسهم جورجيس بن بختيشوع والذي قدم بغداد- كما قدمنا - لمداداة الخليفة المنصور سنة ١٨٤هـ / ٧٦٥ م ، فهو أول من ابتدا نقل الكتب اليونانية إلى اللسان العربي ، ولما كان الاتجاه السائد في تلك الفترة المبكرة من النقول منصّباً على الكتب الطبية فقط ، فقد تركزت جهود جورجيس على ترجمة الكتب الطبية بصفة خاصة (٨٦) ، ومن أساتذة هذا الصنف أيضاً إبراهيم بن الصلت ، وقد تنوعت جهوده في النقل من اليونانية إلى السريانية والعربية ، فهو معدود من النقلة إلى اللسان العربي (٨٧) كما نقل أيضاً كتباً كثيرة إلى السرياني (٨٨) . ولم تقتصر نقول ابن الصلت على الفلسفة اليونانية فقط بل شملت أيضاً كتب الطب ، حيث ينسب إليه ترجمة مقالة من كتاب الأورام لجالينوس ، ومقالة أخرى من كتاب صفات لصبي

(٨٢) الفلاسفة والمترجمون السريان : ص ١٨٢ .

(٨٣) تاريخ العلم : ج ٢ ، ص ص ٣١٠ - ٣٢٠ .

(٨٤) الفلاسفة والمترجمون السريان : ص ١٦٨ .

(٨٥) عيون الأنبياء : ج ٢ ، ص ٣٣٨ .

(٨٦) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٣٣٣ .

(٨٧) الفهرست : ص ٣٤١ .

(٨٨) عيون الأنبياء : ج ٢ ، ص ٣٣٧ .

يُصرح ، وقد ترجمهما إلى السرياني والعربي^(٨٩) ، أما نقوله عن فلاسفة اليونان فقد تركزت بصفة خاصة على كتب أرسطو ، حيث ينسب إليه ترجمة المقالة الأولى من كتاب السماع الطبيعي^(٩٠) . ويبدو أن نقول ابن الصلت إلى العربية لم تكن على نفس مستوى نقوله إلى السريانية ، ولذلك كانت تحتاج نقوله إلى العربية أحياناً إلى إصلاح من بعض المترجمين ، وقد تصدى حنين بن إسحاق إلى إصلاح بعض هذه الكتب التي نقلها ابن الصلت إلى العربية^(٩١) .

ومن أساتذة هذا الصنف أيضاً عيسى بن صهاربخت^(٩٢) وتلميذه أبو يعقوب يوسف بن عيسى الناقل المتطبب ويلقب بالناعس ، وإن اختلف النقاد في الحكم على جودة نقوله إلى العربية^(٩٣) ، ومنهم سابور ابن سهل (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) رئيس بيمارستان جُنْدَيْسَابُور ، والذي قدم إلى بغداد وخدم الخلفاء العباسيين ، وكانت مصنفاته التي اعتمد فيها على مصادر يونانية مترجمة محل قبول لا نظير له بين الأساتذة والتلاميذ على السواء^(٩٤) .

وإذا جاز لنا في نهاية هذه المرحلة أن نلخص خصائص الترجمة وجهود أساتذة جُنْدَيْسَابُور ، فيمكننا أن نضع أيدينا على النقاط الآتية :-

أولاً : يُحسب لأساتذة جُنْدَيْسَابُور أنهم أحرزوا قصب السبق في مجال نقول علوم اليونان إلى العربية ، حيث يعد جورجيس بن بُخْنَيْشُوع – رئيس بيمارستان جُنْدَيْسَابُور وطبيب المنصور – أول من قام بنقل الكتب من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي .

ثانياً : رغم أن الكتب الطبية اليونانية قد احتلت المقام الرفيع في عمل الترجمة بتلك المرحلة ، إلا أن الكتب الفلسفية هي الأخرى قد وجدت طريقها إلى أقلام أساتذة جُنْدَيْسَابُور ، لا سيما تلك الكتب التي تخدم التعليم الطبي ، أو بمعنى أدق الطب الفلسفي ، ولم يبدأ اتجاه هؤلاء الأساتذة إلى ترجمة فلسفة أرسطو إلا منذ عصر الخليفة المأمون .

ثالثاً : اتضح من تحليل المصنفات المبكرة لأساتذة جُنْدَيْسَابُور أن منهجهم في الترجمة كان هو لسان حال معظم الترجمات المبكرة للنصوص اليونانية ، حيث كان يتم نقل المصطلحات نقلاً لفظياً ، ثم يضعون لها اختصاراً لمعناها في العربية بقدر ما تسعفهم حصيلتهم اللغوية .

(٨٩) الفهرست : ص ٤٠٤ .

(٩٠) المصدر نفسه : ص ص ٣٥٠ – ٣٥١ .

(٩١) إخبار العلماء : ص ٦٩ .

(٩٢) تاريخ أدبيات در إيران : جلد أول ، ص ١١٠ .

(٩٣) عيون الأنبياء : ج ٢ ، ص ٣٣٧ .

(٩٤) إخبار العلماء : ص ١٤١ ، أربري : تراث فارس : ص ٤٠٦ .

رابعاً : في تلك المرحلة زواج أساتذة جُنْدَيْسَابُور في نقولهم من اليونانية إلى اللغتين العربية والسريانية ، وإن كان من الواضح أن نقولهم إلى العربية لم تكن على نفس مستوى نقولهم إلى السريانية ، ولذلك فقد كانت تحتاج تلك النقول في كثير من الأحيان إلى من يقوم بإصلاحها .

خامساً : تبين أيضاً أن جهود هؤلاء الأساتذة في تلك المرحلة المهمة في تاريخ النقول عن اليونانية لم تقتصر على مجرد المشاركة في الترجمة ، بل كانت لهم جهود أخرى في ذلك المجال ، حيث قاموا بالترحال لتحصيل كتب اليونان ، وأشرفوا على عملية الترجمة واحتضنوا التراجمة وأنفقوا عليهم ، كما ترأسوا أكبر معهد للترجمة في بغداد وهو بيت الحكمة ، بالإضافة إلى ترأسهم لأول بيمارستان أنشأه الرشيد في بغداد ، وهذه الجهود مجتمعة تشكل بصورة واضحة وحدة مؤتلفة الأجزاء متكاملة التراكيب ، تفسر لنا ذلك الجهد الكبير الذي بذله أساتذة جُنْدَيْسَابُور في بناء صرح الحضارة الإسلامية .

أهم المصادر والمراجع

• المخطوطات

- ١ – دغل العين : ابن ماسويه ، يوحنا ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٠٠ مجاميع) طب تيمور .
- ٢ – معرفة محنة الكحالين : ابن ماسويه ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٠٠ مجاميع) طب تيمور .

• المصادر العربية

- ٣ – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : المقدسي ، عبيدالله بن عبدالله ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ط ٣ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ٤ – إخبار العلماء بأخبار الحكماء : القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٦هـ .
- ٥ – الإستيعاب في معرفة الأصحاب : ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبدالله ، بيروت ، دار الجيل ، ط ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٦ – الأعلام النفيسة : ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر ، بيروت ، دار صادر ، د . ت .
- ٧ – تاريخ الأمم والملوك : الطبري ، محمد بن جرير ، بيروت ، دار صادر ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- ٨ – تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : الأصفهاني ، حمزة بن الحسن ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د . ت .
- ٩ – تاريخ مختصر الدول : ابن العبري ، أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون ، بيروت ، دار الرائد اللبناني ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ١٠ – طبقات الأمم : الأندلسي ، صاعد بن أحمد ، تحقيق د . حسين مؤنس ، القاهرة ، دار المعارف ، د . ت .
- ١١ – عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم ، تحقيق ودراسة دكتور عامر النجار ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١م .
- ١٢ – الفهرست : النديم ، محمد بن إسحاق ، بيروت ، دار المعرفة ، د . ت .
- ١٣ – مفاتيح العلوم : الخوارزمي ، محمد بن أحمد ، تحقيق فان فلوتن ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة الذخائر ، ٢٠٠٤م .
- ١٤ – الوزراء والكتاب : الجهشياري ، محمد بن عبدوس ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٤م .

• المصادر المترجمة

- ١٥ – أخبار بطاركة كرسي المشرق : **النسطوري** ، ماري بن سليمان ، ترجمة عمرو بن متى ، تحقيق هنري جيسموند اليسوعي ، روما ، ١٨٩٩ م .
- ١٦ – مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة : **لايرتيوس** ، ديوجين ، ترجمة عبدالله حسين ، القاهرة ، المجلس العلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، د . ت .

• المراجع العربية

- ١٧ – تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى الوقت الحاضر ، **كامل** ، دكتور مراد وآخرون ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٧٩ م .
- ١٨ – تاريخ الليمارستانات في الإسلام : **عيسى** ، أحمد بك ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
- ١٩ – ضحى الإسلام : **أمين** ، أحمد ، القاهرة ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط ١ ، د . ت .
- ٢٠ – منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية : **مرسي** ، دكتور جلال محمد عبدالحמיד ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢ م .
- ٢١ – الساميون ولغاتهم تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية عند العرب : **ظاظا** ، د . حسن ، دمشق ، دار القلم ، بيروت ، الدار الشامية ، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

• المراجع المترجمة

- ٢٢ – إيران في عهد الساسانيين : **كريستنسن** ، أرثر ، ترجمة دكتور يحيى الخشاب ، مراجعة دكتور عبدالوهاب عزام ، بيروت ، دار النهضة العربية ، د . ت .
- ٢٣ – بلدان الخلافة الشرقية : **لسترنج** ، كي ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٢٤ – تاريخ الطب : **سورنيا** ، جان شارل ، ترجمة إبراهيم البجلاتي ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٤٢٣ م - ٢٠٠٣ م .
- ٢٥ – تاريخ العلم : سارتون ، جورج ، ترجمة لفيف من العلماء ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٠ م .
- ٢٦ – التراجم الأرسطالية المنسوبة إلى ابن المقفع : **كروس** ، بول ، أبحاث ألف بينها وترجمها دكتور عبدالرحمن بدوي ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية . ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٦ م .

- ٢٧ – تراث فارس : أربري ، ا . ج وآخرون ، ترجمة محمد كفاي وآخرون ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، د . ت .
- ٢٩ – تراث الأوائل في الشرق والغرب : بكر ، كارل هينرش ، ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية .
- ٣٠ – علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب : أوليري ، دي لاسي ، ترجمة دكتور كامل وهيب ، مراجعة زكي علي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ م .
- ٣١ – الفكر العربي ومكانه في التاريخ : أوليري ، ترجمة د . إحسان عباس ، مراجعة د . محمد مصطفى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، ١٩٧٢ م .
- ٣٢ – الفلاسفة والمترجمون السريان : يوسف ، إفرام ، ترجمة شمعون كوسا ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠١٠ م .
- ٣٣ – من الإسكندرية إلى بغداد بحث في تاريخ التعليم الفلسفي والطبي عند العرب : مايرهوف ، دكتور ماكس ، ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية .

• المراجع الفارسية

- ٣٤ – تاريخ أدبيات در إيران : صفا ، د . ذبيح الله ، تهران ، جابخانة رامين ، ١٣٧٢ ش .
- ٣٥ – تاريخ طب در إيران بس از إسلام (از ظهور إسلام تا دوران مغول) : آبادي ، د . محمود نجم ، تهران ، مؤسسة انتشارات وچاپ دانشگاہ ، ١٣٧٥ ش .
- ٣٦ – ديار شهر ياران آثار و بناهاي تاريخي خوزستان : اقتداري ، أحمد ، تهران ، انتشارات انجمن آثار ملي ، ١٣٥٤ ش .
- ٣٧ – فرهنگ ایرانی وتأثيران در تمدن إسلام و عرب : محمدي ، محمد ، تهران ، جابخانة بيمان ، ١٣٢٣ ش .

• المراجع الأجنبية

- ٣٨ – Life Science , Alchemy and Medicine : Naser , S . H , Cambridge
History of Iran , Cambridge , Cambridge University Press , 2007 .
- ٣٩ – The Rise of The New Persian Language : Lazard , G , Cambridge
History of Iran , Cambridge , Cambridge University Press , 2007 .
- ٤٠ – The Story of Medicine : Robinson , Victor , New York , The New
Home Library , 1943.